في هذا المكان الذي استولى عليه . وقد عين القيصر على المدينة حاكماً يساعده موظف إداري ، ومنحت امتيازات لتجار موسكو ونيجني نوفغورود ومع ذلك لم يكن ذلك كافياً لإعادة الحياة الى قازان . ففي خلال قرون عديدة كانت هذه المدينة قد اصبحت أكبر سوق في الشرق . وعندما كانت مدينة بلغارية في الأزمان الغابرة كانت قازان تتاجر مع الصين وفارس وبخارى وسمرقند وكانت كل آسيا تعرفها حتى اصبحت تتمتع بالرخاء والثراء . ولكن الروس التابعين للقيصر لم يكونوا قادرين على متابعة هذه التجارة الواسعة مع الخارج فما لبثوا ان تنبهوا الى أن من الواجب منح عفو كامل لكل الهاربين التتر الذين التجؤوا بعد تلك الحروب الوحشية الى الغابات ولكل مسلمي البلاد الذين نالهم الرعب والإحباط . وهكذا ، وعلى الرغم من انتصار الكنيسة وجدت أعداد كبيرة من التتر المستعدين للإقامة في بيوت ودكاكين أولئك الذين قتلوا ونهبت أموالهم من قبل . وكل ما تطلبه إيڤان من هؤلاء هو أن يقسموا يمين الولاء وأن يدفعوا عن كل فرد منهم الى جابي الضرائب مبلغاً مساوياً لذلك الذي كانوا يدفعونه في الماضي لأميرهم . وهكذا لم تكف قازان قط عن أن تكون حصن التتر الحصين ، وحتى تحت حكم روسيا كان لا يزال فيها وحتى يومنا هذا عدد كبير من سكانها التتر .

ثم تهيأ إيڤان للعودة الى موسكو . وكان قد أرسل السعاة ينقلون أخبار النصر مع كلمة للمتروپوليت وأخرى لأناستاسيا وثالثة لأخيه يوري يخبرهم فيها عن عودته الوشيكة مع الجيش . وترك في قازان حامية مؤلفة من خمسين ألفاً من الجنود من أصلهم ألف وخمسمائة من ذوي المحتد النبيل وثلاثة آلاف وخمسمائة من الستريلتسي (حملة البنادق او القربينات) والقوزاق وعين غورباتي شويسكي حاكماً وسيريبراني نائباً للحاكم . وقد تطلبت هذه التدابير ما بين عشرة واثني عشر يوماً اتخذ بعدها إيڤان وجيشه طريق الرجوع . وفي أثناء الطريق تلقى نبأ هاماً أخبره به رسول موفد من موسكو أن القيصرة وضعت ولداً .